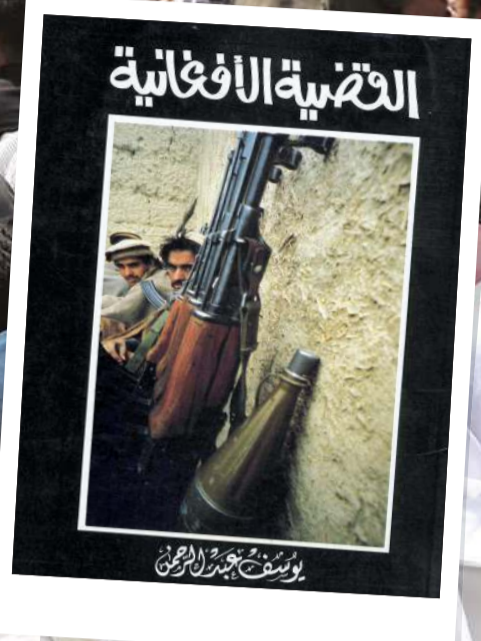




نغز طالبان



يوسف عبد الرحمن
y.abdul@alanba.com.kw

● أخطاء طالبان الفاتلة

وقعت حركة طالبان في أخطاء تكتيكية فادحة ابان انتصارها الأول، إذ قامت باغتتيال قائد حزب الوحدة الشيعي عبدالعلي مزاري في 2 مارس 1995 وأعدمت الرئيس الأفغاني الشيعي محمد نجيب في 26 سبتمبر 1996 غير أن سبب عودة طالبان اليوم هو بحث الشعب الأفغاني له عن منفذ، فلم يجد غير (طلبة العلم) على أمل أن تخرج إلى النور المشاريع الكبرى المتمثلة في اكتشاف الغاز والنفط والمعادن.

● المخدرات

على الرغم من العقوبات التي فرضتها طالبان على متعاطي المخدرات برزت دلائل مسربة على أن زراعة الأفيون في جنوب أفغانستان مزدهرة لأن أفغانستان (أكبر دولة منتجة للأفيون في العالم) ولقد رابت خلال زيارتي الصحافية في حقبة الثمانينيات وبداية التسعينيات مصانع بدائية على حدود (أفغانستان - باكستان) منتجة للأفيون وهي تجارة تدور نحو ملياري دولار سنويا لهذه المصانع البسيطة والكل يعلم أن الترسنة العسكرية تحتاج إلى تمويل والمخدرات يمكن أن تكون هذا الصرع الحالي.

وتفيد تقارير الأمم المتحدة بأن المزارع يربح نحو 70 دولارا من كل كيلو غرام مبيع، ومعلوم أن حركة طالبان تفرض ضريبة الأرض وزكاة الزرع ونسبتهما تصل إلى 10٪ على صادرات الأفيون، بينما يصل الإدمان الذي يعيشون في ذروتها بين جموع الأفغان الذين يعيشون في مخيمات اللاجئين والمهاجرين في باكستان، وأذكر عند وصول حركة طالبان الأول إلى السلطة تضاعف إنتاج الأفيون في أفغانستان ليصل إلى رقم قياسي على مستوى العالم وهو 4600 طن تمثل حصيلته إنتاج 91 ألف هكتار

من الأراضي الزراعية الأفغانية في عام 1994!

● فكر طالبان

طالبان خرجت من رحم فكر الفقيه الهندي أبو الأعلى المودودي في الهند منذ عام 1941 خاصة بعد انفصال باكستان عام 1947، والحقيقة أن حركة طالبان تأثرت بكتب المودودي دون أن تلتفت (للبراعماتية) التي تتبعها جماعة الإخوان المسلمين في التعاطي مع الغرب، وهذا ما يمكن أن تلاحظه في موقف طالبان من الولايات المتحدة والغرب! فكر الحركة لا يقدم تنازلات للغرب، وبدلا من ذلك تعتقد الحركة أن أميركا والغرب مطالبان بقبول الحركة! وفي قضية تطبيق الشريعة تتبنى آبيات الجماعة الإسلامية الباكستانية وهي خليط (من الأعراف القبلية والمؤثرات الخارجية).

● مصير الجمعيات الدينية؟

في مواجهة السوفييت الذين احتلوا أفغانستان عام 1979 نشأت جمعيات دينية جهادية رئيسية كان لها دور محوري في صناعة الأحداث وحسم الواقع العسكري ومن خلال كادرها المنتظم في صفوفها، ولعبت دورا بارزا في ظهور قوة الشمال الأفغانسة المتحالفة مع طلائع المجاهدين العرب بإدارة الشيخ عبدالله عزام وأسامة بن لادن وأمين قبل ظهور طالبان، وهي:

- 1 - الجماعة الإسلامية برئاسة برهان الدين رباني.
- 2 - الحزب الإسلامي برئاسة قلب الدين حكمتيار.
- 3 - الحزب الإسلامي (يونس خالص) وهو منشق عن الحزب الإسلامي لحكمتيار عام 1979 ويقال إنه ضم الملا محمد عمر زعيم طالبان لاحقا.
- 4 - الاتحاد الإسلامي برئاسة عبد رب الرسول سياف وكان يعادي بشدة الأقلية الشيعية.
- 5 - جبهة التحرير الوطنية الأفغانية: أسسها صبيغة الله مجددي عام 1980 مدعوما من قبائل البشتون.
- 6 - حركة الانقلاب الإسلامي: أسست تحت قيادة بنني محمدي وهو الأقرب إلى أطروحات حركة الطالبان.
- 7 - المحان الملى الإسلامي (المتصوفة): رأس هذا الحزب بير جيداني، عقيدته صوفية واتباعه من البشتون.

● الهيكل التنظيمي لحركة طالبان

لا يمكن القول إن لدى حركة طالبان (هيكلا إداريا) بالمعنى المتعارف عليه، وليس هناك دسوق أو قوانين مدونة تنظم شؤون الحركة ولا بطاقات هوية لأعضائها ولا ميزانية عامة ولا إحصاءات، غير أن حركة طالبان اليوم تحرص على الأساليب الإدارية الحضارية وتسعى لتضع لها دستورا ونظاما أساسيا للحكم.

- القيادة العليا: ملها الزعيم التاريخي لهم الملا محمد عمر ويطلق عليه (أمير المؤمنين) واختير أميراً للحركة في أغسطس 1994 ولقب بأمير المؤمنين في عام 1996 بعد دخول طالبان العاصمة «كابول».

تمتع الملا محمد عمر خلال زعامته للحركة بجميع حقوق (ولي الأمر) وليحافظوا على هيبة وهيئته وشخصيته (غيب عن الإعلام)، وكان لا يشارك في الاجتماعات العامة ولا يظهر لوسائل الإعلام وليست له صورة رسمية.

وتفيد مصادر الأخبار بأنه لم يكمل دراسته الشرعية ولم يكن له دور بارز في الجهاد الأفغاني، غير أنه شارك وفقد عينه في إحدى المعارك. - نائب الأمير: ويحل محل (أمير المؤمنين) في غيابه، وكان يشغل هذا المنصب الملا محمد رباني رئيس المجلس الحاكم، وتوفي عام 2000 وحل محله الملا محمد حسن.

- المجلس الحاكم: تكون هذا المجلس بعد دخول طالبان كابول عام 1996 وبعد أن تولى زمام الأمور رأسه الملا محمد حسن وعمل تحت إمرة الملا محمد في حينه.

- مجلس الوزراء: يضم عددا من الوزراء ويرأسه نائب الأمير وكان عقد جلساته أسبوعيا. - مجلس الشورى المركزي: هو مجلس غير محدد العدد والأعضاء وغير معروف الصلاحيات. - مجلس الشورى الأعلى: هو بمنزلة المجلس الأعلى في الحركة، أعضاؤه غير معيّنين، ويترك أمر تشكيله لزعيم الحركة.

- الولاء: يعيّنون من قبل زعيم الحركة ويعملون تحت إشرافه، وقد عين كل منهم خلال قيادة الملا عمر مجلس شورى في الولاية والتزاما بنظام المناطق، حيث تتجمع ولايات متعددة مثل الولايات الشرقية والجنوبية والغربية، ويكون لكل مجموعة من الولايات مسؤول واحد ليسهل حل الأمور الإدارية.

- القيادة العسكرية: غير محددة العدد أو الترتيب التصاعدي، لكنها تخضع لزعيم الحركة، ومن أبرز قادتها الملا عبدالرزاق والملا عبید الله والملا برادر اخوند الذي يقود الحركة حاليا. - عناصر الحركة: ينقسم الأعضاء إلى فئات ثلاث، يمثل طلاب المدارس الدينية الفئة الأبرز والأكثر عددا يليها المجاهدون السابقون ثم بعض أفراد الجيش السابق، فضلا عن عناصر غير أفغانية من باكستان وبعض الدول العربية وآسيا الوسطى والفلبين وغيرها (من جاهدوا مع الأفغان من الجنسيات الأخرى).

- دار الفتوى: أنشأت حركة طالبان مجلسا يضم عددا من العلماء لاستفتاءهم في الأمور الشرعية، ويوجد هذا المجلس في قندهار مقر الحركة وقفاؤه غير ملزمة لأمر الحركة، باعتبار أن الشورى (معلنة للأمير) وليست (ملزمة) كما انتهت إلى ذلك فتوى علماء الحركة.

آلية اتخاذ القرار

آراء مجلس الشورى غير ملزمة، وبالتالي قرارات أمير المؤمنين هي الملزمة بعد الاستئناس بآراء أهل الشورى.

- سمات الحركة: خلفية فكرية موحدة، مركزية شديدة، تغيير مستمر في المناصب، تجانس عرقي يقوده البشتون في كل الهياكل.

● زبدة الحجى:

بهذا التحليل المختصر والسريع تتضح مخاطر ومكاسب حركة طالبان وبداية تحولها لتكون أفغانستان تحت حكمهم البلد المقبول الذي يلبي متطلبات المجتمع الدولي، ويستطيع أن يلجم الإرهاب ويحد من سطوته وانتشاره، ويضمن الدبلوماسية الهادئة والاستقرار والالتزام بحقوق المواطنين الأفغاني في الحياة بعد سنوات طويلة من الحرب والتحول إلى (فيدرالية) تعترف بجميع القبائل وتتولى الإشراف على تخطيط مشاريع التنمية القادمة وتوزيع الثروة على الشمال والجنوب والشرق والغرب على حد سواء، والأكيد أن طالبان ستبدأ بتحويل كابول العاصمة إلى منطقة منزوعة السلاح ودمج الميليشيات في جيش وطني والتعلم من (التجربة اللبنانية) في صهر الشباب في جيش موحد وإقامة حكومة مدنية تأخذ بالمؤهلات والمهارات والخروج من (كابوس أفغانستان) والذي عاش ردا من الزمن كأنه خارج نطاق التاريخ والتحضّر، ليدخل العولة، كما ستحرص الحركة على إعمار أفغانستان من خلال الدول المانحة بعد تجفيف بنوع الإرهاب، وتسعى إلى النهوض بالتعليم القائم على الفلسفة والعلوم الإنسانية والاختصاصات العلمية للحد من التعصب الديني، وسيكون هناك (حل) للمسألة الكشميرية التي تسمم العلاقات الهندية - الباكستانية، وستكون إيران أول من يعترف بطالبان وتفتح السفارة، واعتقد أن الأتراك سيحاولون مد العلاقات مع طالبان ليحصلوا على التمدد وبحقوا النفوذ، وكما شاهدنا قبول وساطة فرنسية لإجلاء روس من أفغانستان! ويبقى الصراع سياسيا وبيدار من خلف حجب، وستعود قندهار إلى الواجهة من جديد معلنة عهدا جديدا للطالبان يطول أو يقصر، والسؤال: إلى متى سيظل الشعب الأفغاني ينتظر السلام ويصبر؟

إن علينا جميعا أن نتضرع للمولى عز وجل أن ينهي مأساة أفغانستان، فلقد تعب هذا الشعب من الصققات والأسرار!

طالبان.. رقم صعب!

المشهد الأفغاني الآن في كابول بعد اكتساح طالبان لها، خاصة المطار، يعطيك انطباعا إنسانيا بضرورة التعاطف مع أحوال الناس المساكين الذين عملوا مع القوات الأميركية كقوى لوجيستية من أفراد وجماعات يقومون بمختلف الوظائف وفيهم (سكرتارية - مندوبون - إعلاميون - عمال... الخ). لقد عادت طالبان بعدما حدث سابقا يوم أقيمت من الحكم واعتبرت أن أمر عودتها محتوم، باعتبار أن المسألة الأفغانية ستظل مفتوحة على كل الاحتمالات ولعلها للتدخلات الخارجية، فهناك الولايات المتحدة - باكستان - إيران - الهند - روسيا - الدول العربية المعنية بالأمر.

وما دامت قبائل البشتون تؤيد طالبان فإنها ستكون رقما صعبا على المناوئين لها.

حكما هناك أكثر من سيناريو قادم بعوامل داخلية وتفاعلات عفوية أو مطلوبة في داخل المجتمع الأفغاني!

باكستان لاعب ليس سهلا، فهي من صنّعت حركة طالبان والحركة امتداد لعرق قبيلة البشتون، وهكذا أفغانستان هي صراع دائم بين حلفاء الأمم وفرقاء اليوم.

انتهت مرحلة أمراء الحرب، والمشهد الآن بيد طالبان واللاعبيين الأساسيين الذين شاهدناهم على مدى شهر في (قطر - الدوحة) واعتقد أن حركة طالبان الآن في طور التحول التاريخي من حركة إلى حزب سياسي مؤسسي لجمهورية مدنية تحظى بدعم القبائل بتنوعها القبلي والاثنية، وحتما سيكون لجمعية علماء الإسلام الممثلة للمدارس الدينية سيطرة لأنها تكون معزولة عن الحياة السياسية، لكن اليوم مع (طالبان الجديدة) يمكن ترويض المشددين من العمامت السوداء إلى البيضاء الأقل تشددا!

أترقع أن تبعد حركة طالبان (الحركيين) من دهايز السلطة وكذلك (المقربون) من باكستان وكل التركيز سيكون على عمائم الحركة البشتونيين، خصوصا القادة المحليين في قندهار، إذن نحن أمام (خريطة جيوسياسية) تنطلق من أفغانستان لتحولها إلى مسرح لاعبين محليين يحكمون الوضع العام لتسهل السيطرة على الاحتياطات الهائلة من النفط والغاز والأحجار الكريمة والمعادن بتحديد الجوار الجغرافي وإعطائه دورا بعيدا عن (الكثيكة الأفغانية).

لنترقب قليلا، فالمرشح الأفغاني يستعد لسيناريوهات ومواجهات أصعب تعقيدا من «الاحتلال الشيوعي» لأننا أمام توازنات مطلوبة لأمة الأفغان وضرورة عزلها كمنطقة عازلة مع القوى الإقليمية المجاورة، إننا أمام تحولات لأفغانستان جديدة. في أمكن الله.

الغز سؤال غامض عادة ما تصعب الإجابة عنه.. وعليه نسأل: من هم طالبان؟

عقب انسحاب القوات السوفييتية وانحسارها وهزيمتها عام 1989 ظهرت (حركة طالبان) كحركة دينية متشددة، ونشأت في ظروف غامضة، لكنها ظهرت مدعومة من باكستان وإيران المجاورتين لأفغانستان بعدما تدهورت الأوضاع جراء ما قام به «المجاهدون العرب» من أعمال جعلت الأوضاع غير مستقرة، وهذا ما دعا الرجل التاريخي (الصندوق الأسود) حميد غول مدير المخابرات الباكستانية لدعم مجاميع من الطلبة (طلاب العلم) لتكوين نواة قوة جديدة صاعدة في أفغانستان تقابل سطوة وقوة قادة الشمال: (حكمتيار - رباني - سياف - يونس خالص - أحمد شاه مسعود) وهم القادة الذين هزموا جحافل الجيش الأحمر ثم جرى تصارع على السلطة ما بين هؤلاء القادة وقوة طالبان الصاعدة بقيادة الملا محمد عمر، خاصة بعد انسحاب القائد قلب الدين حكمتيار من المباحثات، مما وضع القائد برهان الدين رباني في مواجهة حركة طالبان التي بدأت تتسيطر على المحافظات التسع من أصل 34، خاصة بعد استيلائهم على الأسلحة الثقيلة ومنها طائرات الميغ 23 والأسلحة الروسية منها أكثر من 200 دبابة، وكان أكثر القادة شراسة هو القائد قلب الدين حكمتيار الذي قال يومها: لقد خضت 27 عاما من الصراع من أجل تكتيف حكومة إسلامية في أفغانستان واعترفت عائلتي كلها وقتل أبي وإثنان من أشقائي ونلت حكما بالإعدام، وخضت معارك وأنا لا أخاف طالبان الآن، ثم فوجئ العالم بانسحابه من تحدي طالبان وكان معه أكثر من 6000 مقاتل!

.. والقائد حكمتيار يعرف من أين تؤكل الكتف!.. وفي كل السنوات التي مرت كان المسيطر قلب الدين حكمتيار الزعيم الباشتوني، إلا أن هزيمته في معركة كابول جعلته طالب الرؤية الشرعية لهذا الامتياز! اليوم نراه يعود بقوة في الظهور لأنه دائما محتّم بالعصبة القبلية ولأنه بشتوني!

● البشتون يملكون الورقة الراجعة

قبيلة البشتون الأفغانية هي أقوى القبائل وأشرسها في الحرب وتملك (قوة عسكرية ضاربة)، وهي التي تحسم الخلافات ما بين القبائل أو في مجالس الشورى اللويا جيراغا لكنزتها العديدة وسطوة مقاتليها الأشداء، ولهذا هي الرقم غير القابل للمكسر!

وتزداد قوتها إذا اتفقت مع فرعا في باكستان، فالبشتون الباكستانيون في اجتماعهم مع بشتون أفغانستان يشكلون قوة ضاربة تخضع لها كل القبائل.. الطاجيك والأوزبك والهزارة، وعبر التاريخ انفردت قبيلة البشتون بقضايا كثيرة لكنها كانت تحسم المسائل بسطوتها القبلية الممتدة ما بين حدود أفغانستان وباكستان.

● مقتل أحمد شاه مسعود.. وطالبان!

بعد مقتل أسد اليانشير أحمد شاه مسعود ضعف موقف قادة الشمال الذين كان لهم الفضل في تحرير أفغانستان من القوات الشيوعية، خاصة بعد مقتل القائد رباني وانزواء سياف وتكفل بقية القادة وبروز (قوة طالبان) القادمة أساسا من قبيلة البشتون ومن (طلبة العلم) على وجه الخصوص والشعب الأفغاني يقدر جدا طلبة العلم والعلماء والأساتذة وهذا ما أنجح إدارة طالبان في السيطرة على مقدرات الشعب الأفغاني، خاصة بعد فرض الحجاب واللباس الإسلامي ومنع الفتيات من المدارس والنساء من الخروج من المنازل، وحظر الألعاب مثل الشطرنج وحرق المحال التي تتبع شرطة الأغانى والأفلام، ومع نذر الناس نجحت طالبان في القضية الأمنية ولقي الأمان قبول الناس وشكرهم بعد استتباب الأمن داخل المحافظات التي سيطرت عليها طالبان!

● دور المخابرات

كانت ولم تزل الاستخبارات العسكرية تلعب دورا بارزا وكبيراً في الملف الأفغاني ولم يعد ذلك خافيا بعد أن ساهمت إلى حد كبير في هزيمة الجيش الأحمر السوفييتي، وهي التي أمدت المجاهدين (قادة الشمال) بالأسلحة وهي التي أيضا سلحت طالبان. فعلى سبيل المثال يعتبر الشيخ إسماعيل خان أحد كبار المجاهدين الذين تصدروا في مواجهة الاتحاد السوفييتي يوم كان قائدا لأمعا في غرب أفغانستان، وهو الذي باع مدينة هرات القريبة من الحدود الإيرانية للمخابرات الباكستانية في صفقة غير مسبوقة تاريخيا، ما عجل بسقوطها في أيدي طالبان في سبتمبر 1995، وهو الذي استولى على أموال حزبه (الجمعية الإسلامية) الذي كان يتقاسم السلطة والنفوذ في كابول حينئذ بعد تامين مستقلة عائلته في فرنسا ثم ليهرب بدوره إلى مدينة مشهد في إيران!



القائد قلب الدين حكمتيار في حوار مع الزميل يوسف عبدالرحمن في عام 1986



(رويترز)

أفغان يتوجهون إلى طائرة للمغادرة في مطار كابول